

العنف الجنسي ضد الزوجات...

ماذا عن ثقافة الصمت في تأصيل هذه الظاهرة؟

دليلة مساور
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة مولود معمري تيزي وزو
البريد الالكتروني: messaourdalila@yahoo.fr

عمرون مراد
كلية الحقوق والعلوم
السياسية تيزي وزو

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الإشارة إلى إحدى الظواهر الاجتماعية الشائعة عالميا ومحليا ألا وهي ظاهرة العنف الزوجي الموجه ضد المرأة، حيث تعتبر المرأة في بلادنا ضحية عدة أشكال العنف الممارسة من طرف أقرب الناس إليها وهو الزوج، فكم هي معاناة هذه الضحية عديدة من اعتداءات الزوج الجسمية، اللفظية، السيكولوجية والجنسية!

أجرينا دراستنا على ثمانية حالات هن من ضحايا العنف الزوجي (نساء مصابات بالقصور الكلوي المزمن النهائي) موجّهين نظرنا إلى اللواتي صرحن بكونهن كن من ضحايا العنف الجنسي، إلى جانب الاعتداءات الأخرى الممارسة من طرف الأزواج عليهن، بهدف التعرف على الانعكاسات النفسية للضحية المتلقية للعنف.

Résumé :

Cette présente étude a pour objet d'évoquer l'un des phénomènes très répandus dans le monde en général et dans notre pays en particulier, il s'agit du phénomène de la violence conjugale à l'égard de l'épouse.

La femme dans notre pays est victime de maintes formes de violences exercées par l'être le plus proche à elle qui est l'époux. Elle souffre de toutes sortes d'agressions (corporelles, verbales, psychologiques et sexuelles).

Nous avons mené notre étude sur huit (8) malades souffrantes d'insuffisance rénale chronique terminale, victimes de violences conjugales, on s'est focalisé sur les cas qui ont déclaré leur souffrance des actes sexuels violents par leur époux, et ce dans le but de connaître les répercussions psychologiques sur la victime violentée.

Par cette étude, nous avons détecté les souffrances de quelques cas de détresses psychologiques, dépression, maladies psychosomatiques, ...etc.

Ce qui nous a attiré le plus, ce sont les cas qui ont pris du temps de l'investigation clinique pour oser nous dévoiler leurs souffrances de la violence sexuelle, on a constaté que les victimes, malgré leurs souffrances, ne veulent pas quitter leur conjoint, par soucis et sacrifice pour leurs enfants, et par peur de perdre le foyer conjugal.

Les résultats de cette étude ont montré que le conjoint violent est immature, irresponsable, infidèle, alcoolique, ... il n'a aucune maîtrise en soi, il se manifeste par toute sorte de violence comme forcer l'épouse à pratiquer l'acte sexuel.

L'objectif de notre étude était de montrer les conséquences du silence et de la soumission de la femme pour cette violence, notamment la violence sexuelle, par cela, on se base sur la prise en charge psychologique de la victime ainsi que l'agresseur.

. مقدمة

تعاني المرأة الكثير من اعتداءات الزوج النفسية، اللفظية، الجسدية وحتى الجنسية منها، فالزوجة ضحية العنف الجنسي تعاني من ضغوطات الزوج، إرغامها وإجبارها على القبول بالممارسة الجنسية في ظروف صعبة ومؤلمة، تكون متبوعة بتهديدات وتخويفات، هذا ما ينمي ثقافة الصمت عند الضحية ويجعلها في أغلب الأحيان تتستر على مثل هذه الاعتداءات، وتنعكس مخلفات العنف الجنسي على الصحة الجنسية، النفسية والجسدية للضحية، وهذا ما نحاول عرضه فيما يلي.

1. العنف الموجه ضد المرأة

تعد مشكلة العنف وبالخصوص ما يقع منها على الزوجة من أخطر المشكلات وأبشعها ضررا على المرأة، فلقد نالت هذه الظاهرة قدرا كبيرا من الاهتمام لتزايد خطورتها، هذا ما تؤكدته الدراسات السيكولوجية منها دراسة جازية الهمامي، نقلا عن هشيم طاوس، حول العنف الأسري في بلدان المغرب العربي، حيث أوضحت في دراستها أن البيت الزوجي غير المتزن وغير الآمن يعد المكان الأكثر خطرا على المرأة، فالعنف الزوجي يحتل الصدارة ضمن كل أنواع العنف الأسري الأخرى بنسبة 74% ويكتسب هذا العنف شكلا قانونيا بدرجة أولى بـ 43.6% من حالات العنف الزوجي، ويتجسد خاصة في الحرمان من الإنفاق، يليه الطرد من محل الزوجية، وعدم الاعتراف بالأبناء، ثم يأتي العنف الجسدي في المرتبة الثانية بـ 30.4% ويتمثل أساسا في الضرب بـ 80.1% من حالات العنف الجسدي، أما حالات العنف الجنسي المصاحب لها التي تمت في إطار الزوجية فتقدر بـ 63.2% والخاصة بمختلف أشكال وحالات العنف الجنسي، أما العنف السيكولوجي كالسب والشتيم والضغط النفسي فهو يشكل جزءا صغيرا مقارنة بأشكال العنف الأخرى.

تعد الجزائر من بين دول المغرب العربي، التي بينت هذه الدراسة مدى انتشار الظاهرة فيها، حيث أسفرت نتائجها أن 54% من النساء يتعرضن للعنف داخل البيت الأسري وأن الزوج هو المعنف بالدرجة الأولى بـ 61.8% من الحالات المصريح بها في أقسام الشرطة وفي المحاكم.⁽¹⁾ هذا وتبين حواسين حسينة في إطار المؤتمر الإقليمي العربي حول حماية الأسرة، وحسب إحصائيات المعهد الوطني للصحة العمومية عام 2005 من خلال التحقيق الوطني الذي شمل 9033 امرأة، أن 64% من حالات العنف ضد الزوجات تمارس في المنزل، في نفس الصدد تبين دراسة لمصلحة الطب الشرعي بالمستشفى الجامعي مصطفى باشا أن الزوج هو المعتدي في 77% من حالات تعرضت فيها الزوجات للعنف.⁽²⁾

1 - هشيم طاوس، التكفل النفسي المعرفي السلوكي لدى النساء ضحايا العنف الزوجي اللواتي يعانين من اضطراب الضغط ما بعد الصدمة، دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو، مذكرة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011، ص 09.

2- المرجع نفسه، ص 10.

يصف مفهوم العنف ضد المرأة تشكيلة من السلوكات تتضمن التهديد، الإساءة اللفظية، الإذلال، الإيذاء الجسدي والجنسي والمضايقات الجنسية عن طريق الزوج.⁽³⁾ ويعرف العنف الموجه ضد المرأة كونه فعل عدواني يمارس ضد الجنس الأنثوي، ويخلق لها: أضرار، إجحاف، عذاب جسدي، جنسي ونفسي يمارس تحت تأثير التهديد والتخويف والضغط، الإرغام، الإكراه والحرمان من الحرية العامة والخاصة بها⁽⁴⁾

يتخذ العنف الموجه ضد المرأة عدة أشكال حيث بينت إحصائيات الوزارة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة في أوت 2008 أن المرأة الجزائرية ضحية اعتداءات كثيرة ومعقدة من قبل الأزواج، تعد أكبر نسبة إلى العنف اللفظي بـ 19.1% يليه العنف الجنسي بـ 10.9%، ثم العنف الجسدي بـ 9.4%، وأخيرا أصغر نسبة وهي الخاصة بالعنف السيكلوجي بـ 2.5%⁽⁵⁾. كما يشير "روحي هينريون" RogerHenrion في نفس الإطار أن أشكال العنف الزوجي غالبا ما تكون متبوعة بممارسة الجنس بالقوة والتهديد العنيف ضد الزوجات إلى درجة الاغتصاب⁽⁶⁾، فماذا عن العنف الجنسي ضد الزوجات؟

2. مفهوم العنف الجنسي

يعتبر العنف الجنسي من أخطر أنواع العنف الذي تتعرض له المرأة بسبب عمق آثاره النفسية، يؤدي هذا الاعتداء إلى تدمير الشعور بالكرامة الذاتية ويدفع بالتالي إلى تنمية الشعور بالذل والعار.⁽⁷⁾

يعرف العنف الجنسي بأنه لجوء الجاني إلى استخدام قوته أثناء ممارسته للجنس مع الطرف الآخر، إذا كانت زوجته دون مراعاة لوضعها الصحي أو النفسي، أو معرفة طبيعة رغبتها في مجاراته في مطالبه الجنسية.⁽⁸⁾ يتميز العنف الجنسي الموجه من قبل الزوج باتجاه الزوجة بسوء معاملة الزوجة جنسيا والنظر إليها باعتبارها مجرد متعة جنسية وعدم مراعاة رغبتها الجنسية وإجبارها على ممارسة الجنس، كما يلجأ الزوج إلى استخدام الطرائق والأساليب المنحرفة خارجة عن قواعد الخلق والدين في عملية الجنس ودم أسلوب الزوجة الجنسي لإذلالها وتحقير شأنها⁽⁹⁾

بصورة عامة فإن العنف الجنسي يكون عادة بالاعتصاب الذي يعني إجبار الضحية على ممارسة الجنس من غير رغبتها أو طلب الزوج من زوجته سلوكات جنسية مناقضة لمعتقدات الزوجة التي تربت في محيط إسلامي، ويسعى الزوج العنيف من خلال السلوكات الجنسية العنيفة لإثبات الذات الذكورية والتباهي برجولته والزوجة تعتبر موضوع إشباع لرغباته الجنسية ولخدمته والخضوع إليه والعناية به فقط، وتشير الدراسات السيكلوجية أن

³ - طه عبد العظيم حسن، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008، ص 35.

⁴ - Mayssoun Faouri, comment aider une amie victime de violences conjugales, www.concertation-femme.com

⁵ - Ounissa Daoudi, responsabilité pour violence conjugale à l'égard de la femme en droit comparé, thèse de doctorat en sciences juridiques, université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, 2009, p72.

⁶ - Roger Henrion : violence à l'encontre des femmes, <http://www.astrosurf.com/luxiorion/psycho-violenceconjugale.htm> daté du 29/04/2014.

⁷ - محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، 2006، ص 58.

⁸ - منير كرادشة، العنف الأسري، سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2009، ص 34.

⁹ - طه عبد العظيم حسين، مرجع سابق، ص 35.

الرجل العنيف يتسم بصورة نمطية وذهنية خاصة، فسمات وطبيعة شخصيته أو سيكولوجيته كرجل ينزع إلى حل وإدارة الصراع باستخدام العنف، ويكون بالتالي وراء استدماجه للسلوك العنيف⁽¹⁰⁾، ويعزى ذلك إلى عدة عوامل ساهمت بصفة أو بأخرى في انتشار ظاهرة العنف الجنسي.

3. عوامل العنف الجنسي

تبين الدراسات السيكلوجية أنه لا يمكن الأخذ بعين الاعتبار عامل واحد بمفرده لفهم ظاهرة العنف بصفة عامة والعنف الجنسي على وجه الخصوص، بل يتم ذلك ضمن جملة من العوامل متفاعلة فيما بينها، نوجز بعضها فيما يلي:

1-3 العوامل السيكلوجية:

- أ. سمات شخصية المعتدي: منها
 - الاندفاعية الجنسية: فقد يكون الرجل العنيف يتميز بهذه السمة، وبالتالي يقدم على ممارسة العلاقة بكل عنف واندفاعية.
 - عدم النضج الانفعالي والنفسي
 - الممارسة الجنسية السادية (sadique): وهي تلك الشخصية التي تتمتع برؤية الزوجة تتألم من الاعتداءات الجنسية.
- ب. الاضطرابات النفسية:
 - قد يكون المعتدي ذو شخصية باتولوجية فنجذ منها:
 - الشخصية الشاذة النرجسية (pervers narcissiques): فهي الشخصية التي تستهزئ من السيناريوهات الجنسية المنحطة للقيمة وكرامة المرأة متبوعة بسلوكات معنفة لنفسية المرأة منها الشتم، ذم أسلوب المرأة في العلاقة الجنسية.
 - الشخصيات المضادة للمجتمع (antisocial) منها: الشخصية السيكوباتية (psychopathes) والشخصية الدسفورية (dysphorie borderline) وهي شخصيات تعاني من اضطرابات سيكاترية عقلية تمارس كل أنواع الاعتداءات على الزوجة الضحية نفسية، جسدية، جنسية، إلخ وذلك بكل برودة دم وبدون تأنيب الضمير، ومن غير أي مسؤولية أخلاقية أو دينية.
 - ج. شخصية المعتدي الذي كان ضحية العنف: فقد تكون هذه الشخصية تعرضت إلى عنف جنسي في سن مبكر فتعيد نفس السلوك الجنسي الشاذ على الزوجة انتقاما من الشخصية التي اعتدت عليها بصفة لا شعورية في صغرها،⁽¹¹⁾ هذا وتبين دراسات بيرغمان Pergman وآخرون على مجموعة من الأزواج المضطهدين لزوجاتهم أن 39% منهم كانوا شهود عيان لضرب آبائهم لأمهاتهم، وأن 73% منهم كانوا ضحايا ضرب شديد ومتكرر من قبل أحد الوالدين أو كليهما.⁽¹²⁾

لتفسير أكثر هذا العامل الأخير يمكن أن نشير إلى استخدام الزوج المعتدي لميكانيزم تقمص المعتدي (identification à l'agresseur) أي أن الزوج لما كان صغيرا قد عاش في محيط يتضمن نفس الحدث أو تعرض

¹⁰ - منير كرادشة، مرجع سابق، ص 120

¹¹ - Ounissa Daoudi, responsabilité pour violence conjugale à l'égard de la femme en droit comparé, thèse de doctorat en sciences juridiques, université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, 2009, p76-77.

¹² - وفيق صفوت مختار، أبناؤنا وصحتهم النفسية، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2000، ص 9.

لنفس الاعتداء، فلما كبر أعاد نفس التصرف الخاص بما تقمصه من صور الاعتداء الذي كان ضحيته دون تحكم فيه، أي بصفة لا شعورية يمارس أشكال العنف بما فيه الشكل الجنسي على الضحية.

3-12- التربية والثقافة الجنسية الخاطئة:

كثيرا ما ترتبط الاعتداءات الجنسية والسلوكات الجنسية العنيفة بالجهل الجنسي والثقافة الجنسية الخاطئة التي يكتسبها الفرد منذ نموه الجنسي التناسلي (منذ مرحلة البلوغ مثلا أين تكثر الأسئلة الجنسية)، فمن المفروض سيكولوجيا فإن للفرد حق الفضول الجنسي، ويجب على الأسرة أن توفر محيطا وجوا مشبعا بالمعلومات الجنسية السليمة ليثري بها الفرد فضوله الجنسي في تلك الفترة بطريقة علمية سوية، وهذا قبل أن يستطيع اكتساب صورة مشوهة على الجنس والعلاقات الجنسية⁽¹³⁾

إن تطبّع الرجل العنيف على سلوكات جنسية شاذة قد يكون ناتجا عن انحداره في وسط أسري يربط المواضيع الجنسية بالخطيئة والحرام، يتسم بالقمع والكف عن الحوار الجنسي، هذا ما قد يدفعه إلى التحدي والإقبال على الجنس بصورة سرية واكتساب معلومات جنسية خاطئة، وقد بينت الدراسات النفسية في هذا الشأن أن الثقافة الجنسية التي يتلقاها الفرد في سن مبكر بطريقته الخاصة قد تؤدي إلى الخطأ الجنسي والانحرافات الشاذة، وبالتالي ينصح الأخصائيون النفسيون بضرورة التواصل الجنسي العلمي والحوار السليم مع الأبناء وإشباع استطلاعهم الطبيعي للمواضيع الجنسية بطريقة سوية، تحول بينهم وبين الانحراف والشذوذ الجنسي الذي كثيرا ما يسيء إلى الحياة الجنسية وإلى الصحة النفسية للفرد.⁽¹⁴⁾

3-3-1- الإغراء الجنسي الإعلامي

أصبحت الاندفاعات الجنسية للرجل تزداد بنسبة كبيرة، وهذا نتيجة للسيل الكبير من الأدب الجنسي الإباحي، سواء من المقروء أو المسموع أو المرئي، وليس ثمة شك في أهمية الدور الكبير الذي تلعبه إثارة الغرائز الجنسية عن طريق الوسائل الملتوية للأمور الجنسية كالأفلام والأنترنت والمجلات إلخ، بحيث أنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى انزلاق المتطلبات الجنسية والحياة الزوجية⁽¹⁵⁾

3-4- تناول المشروبات الكحولية

يعتبر الخمر والكحول من المشروبات التي تثير الرغبة الجنسية لدى الرجل، فاحتسائها بكثرة تفقد الرجل أعصابه وسيطرته على رغباته، ففي هذه الحالة يندفع للممارسة الجنسية المفرطة والعنيفة دون مراعاة رغبة الزوجة وحالتها.⁽¹⁶⁾

رغم معاناة المرأة من العنف الجنسي للرجل إلا أنها تسعى جاهدة إلى كتمان وعدم الإفصاح عن ذلك لأي كان، فالعنف الجنسي إن قورن مع الأشكال الأخرى من الاعتداءات التي تتعرض لها المرأة فيبعد الأكثر خفاء والأكثر صعوبة للتحديث عنه بالنسبة للنساء، كونه يرتبط بالجنس الذي يبقى مقترنا بدور المرأة في الحياة الزوجية⁽¹⁷⁾.

4. ثقافة الصمت وأثارها على الضحية

¹³ - غالب مصطفى: العلاقات الزوجية، منشورات مكتبة الهلال، ط1، بيروت، 1991، ص51.

¹⁴ - غالب مصطفى، مرجع سابق، ص56.

¹⁵ - عائدة أحمد الروايحة، البرود والضعف الجنسي وعلاجه بالطب العربي والحديث، المكتبة الثقافية، بيروت، ط2، 2003، ص144.

¹⁶ - تانانوم يوسف، العلاقات الجنسية في ضوء العلم، دار الحضارة للنشر، بيروت، الجزائر، 1994، ص33.

¹⁷ - Ounissa Daoudi, op.cit, p50.

ما يلاحظ في وضعية العنف الجنسي أن النساء يرفضن الحديث عن هذا النوع من الاعتداء، فكثيرا ما ينتسب هذا الشكل من العنف في مجتمعنا بالاعتداءات الأخرى كالجسمية أو النفسية، أو أنه حتى مجرد حدث بسيط أو سوء تفاهم روتيني بين الزوج والزوجة، وهذا يعود إلى عدة أسباب ندرج البعض منها فيما يلي:

- الحفاظ على خصوصية الحياة الزوجية: تعد الحياة الجنسية ركيزة العلاقة الزوجية، فمهما كان نوع الممارسة الجنسية وطبيعتها، يبقى كتمان أمر هذا الاعتداء من أخلاقيات الحياة الزوجية.
 - الحفاظ على سمعة الأسرة: تحرص الزوجة على الحفاظ على بيتها وسمعتها وكذا سمعة الزوج، فكتمان أمر الاعتداء الجنسي يعود إلى حرصها الشديد وحفاظها على بيتها وتماسك أسرتهما.
 - التقيد بعادات المجتمع وقيمه السائدة: كما هو معروف في مجتمعنا فإن البيت الزوجي له حرمة وخصوصيته، والمحرك الأساسي لتلك الحرمة هو الرجل، فالمرأة تطبعت على عدم الإفصاح عن السلوكات العنيفة للزوج هو انتهاك لحرمة وخصوصية هذا البيت⁽¹⁸⁾
 - جهل أصول العلاقة الجنسية: تظن بعض الحالات أن الممارسات الجنسية العنيفة من طرف الزوج ما هي إلا ضمن طرقة المحبة لذا تحاول إرضائه والتكتم على الاعتداء رغما عنها، هذا ما أكدته دراسة أونيسة داودي حيث بينت نظرة الزوجة الجزائرية المعنفة جنسيا ومدى تقبلها للوضع واعتباره واجبا من واجباتها الزوجية، مقارنة بالزوجة الفرنسية التي تعتبره اغتصابا جنسيا من طرف الزوج وانتهاك لحرمة العلاقة الزوجية⁽¹⁹⁾
 - الخوف من الزوج المعتدي: إن سمات ومميزات شخصية الجاني المتسمة بالتسلط والاندفاع، التهديد، والقوة تجعل الضحية تلتزم الصمت رغم ما تعانيه من آلام ووحشية الممارسة الجنسية.
 - عدم وجود الإمكانيات المادية: يعتبر الخضوع وتقبل سلوكات الزوج المعنفة كملجأ تلجأ إليه الضحية، فلا بديل ولا حل أمامها سوى ذلك، وهذا خوفا من مصيرها المجهول والمخيف، كعدم وجود الضمان المادي لتعتمد عليه أو مأوى تلجأ إليه أثناء الانفصال، هذا ما صرحت به إحدى الحالات، حيث بينت خوفها الشديد من الزوج وتهديده لها بطردها إلى الشارع إن حاولت الإبلاغ عنه، بالخصوص أنها تفتقد إلى الأقارب والأسرة التي قد تستنجد بهم.
 - عدم ثقة الضحية في الإجراءات القانونية: كثير ما تفكر الضحية في الإبلاغ عن المعتدي، إلا أنها لا تجرأ على ذلك لسببين -حسب تصريح إحدى الحالات- أولهما عدم تعرضها للإجراج الاجتماعي أثناء التبليغ عن مثل هذا الاعتداء، ثانيا شعورها بالإحباط لإيمانها بعدم جدوى التبليغ، هذا ما تؤكدته أونيسة داودي في دراستها (ضحايا العنف الزوجي) تبين أن قانون العقوبات الجزائري لا يعاقب الزوج المعتدي جنسيا على زوجته⁽²⁰⁾
5. أثر الاعتداء الجنسي على الزوجة الضحية:

تشير الدراسات السيكولوجية والسوسيولوجية أن الاعتداءات التي يمارسها الزوج تترك آثار بالغة الخطورة على الضحية، فمن بين الآثار الناجمة عن الاعتداء الجنسي نجد:

- الانعكاسات الجنسية: كثيرا ما تعاني المرأة المعنفة جنسيا من آلام شديدة من جراء قوة وعنف ووحشية الممارسة الجنسية، لا سيما تلك المتعلقة بالآلام على مستوى الجهاز التناسلي، منها:

○ الجروح المؤلمة

○ التهابات مهبلية وبولية

¹⁸ - منير كرادشة، مرجع سابق، ص 113-114.

¹⁹ -Ounissa Daoudi, op.cit, p50.

²⁰ -Ounissa Daoudi, op.cit, p50.

- آلام العادة الشهرية (dysménorrhées)
 - انقطاع العادة الشهرية (aménorrhées) نتيجة المعاش النفسي المضطرب للضحية
 - إصابات على مستوى عنق الرحم
 - احتمال الإصابة بسرطان الرحم
 - تأثير الاعتداء على الحمل والولادة: إن خطورة العنف الجنسي تمس الحالة الصحية للأم الحامل والجنين معا، فقد يكون الجنين غير مرغوب فيه أصلا من طرف الأم لأنه ثمرة الاغتصاب والاعتداء على كرامتها كزوجة، ففي هذا الحين نجد الأم تهمل حتى المتابعة الطبية للحمل وصحتها ككل، مع محاولات الإجهاض⁽²¹⁾
 - الانعكاسات النفسية: من بين الانعكاسات السيكلولوجية على الضحية نجد تشوه الصورة الجسدية⁽²²⁾، حيث أدلت لنا إحدى الحالات أن حالتها النفسية أسوء مما نتصور، فمع مرور الوقت على اعتداء الزوج عليها أصبحت تشمئز من جسدها ومن أعضائها التناسلية. كما نجد ضحايا هذا العنف تعاني من:
 - الشعور الدائم بالقلق والخوف
 - عدم القدرة على ضبط الانفعال
 - انخفاض تقدير الذات
 - فقدانها لثقتها واحترامها لنفسها
 - إحساسها بالذل وسرعة الشعور بالإهانة
 - اضطراب في الصحة النفسية
 - الخوف الشديد من المستقبل
 - الشعور بالذنب إزاء الأفعال التي تقوم بها⁽²³⁾، هذا ما أكدته إحدى الحالات حيث بمجرد تذكرها للسيناريوهات الجنسية التي تشاركها مع الزوج بالتهديد والقوة تبكي من شدة الندم.
 - الآثار النفس-جسدية (psychosomatiques): ينعكس المعاش النفسي المضطرب للضحية على عضويتها ككل، وهذا ما يؤثر سلبا على جميع أجهزة الجسم (الجهاز العصبي، الجهاز القلب-وعائي دوراني، الجهاز الهضمي، الجهاز العضلي) وتظهر بالتالي الأعراض التالية على الضحية:
 - الصداع الدائم
 - نقص الشهية
 - ارتفاع وانخفاض الضغط الدموي
 - آلام المعدة
 - آلام المفاصل
 - اضطراب الدورة الشهرية⁽²⁴⁾
- الجهاز النفسي إذن عندما لا يستطيع علاج العلامات الخارجية فإن الفرد يلجأ لتفريغها عبر السلوك أو الجسد، وهذا ما أكدته إحدى حالات الدراسة حيث أشارت أن عدم البوح والإفصاح وكتمان الاعتداء وعنف الرجل

²¹Ounissa Daoudi, op.cit, p 87.

²²Ibid., p 87.

²³ - منير كرادشة، مرجع سابق، ص 126.

²⁴ - منير كرادشة، مرجع سابق، ص 126.

أدى بها إلى الإصابة بارتفاع الضغط الدموي، السكري، الإصابة الكلوية، القرحة المعدية، الصداع، آلام الظهر والمفاصل، آلام الحوض، هذا الأخير الذي يرجع انتشار ألمه المزمن عند المرضى الذين تعرضوا للإيذاء الجنسي حسب (Walker et al., 1992)⁽²⁵⁾ فإنه قد يستخدم من قبل المريض كحيلة دفاعية هروبا من الألم الحادث عند تذكر العنف الجنسي.

الجانب الميداني:

تمت هذه الدراسة في إحدى المؤسسات الإستشفائية العمومية (مصلحة الغسيل الدموي "الهيموداياليز") بولاية تيزي وزو، حيث تم الالتقاء بالمصابات بالقصور الكلوي المزمن النهائي بغرض البحث عن تأثير حياتهن الجنسية على توافقهن الزوجي، وكانت من ضمن هذه الحالات ضحايا العنف الزوجي، فقد قمنا بالفحص النفسي بالاعتماد على المقابلة واختبار الرضى الجنسي والتوافق الزوجي، ومن خلال تحليل محتوى المقابلة، تم التوصل إلى ما يلي:

عدم التوافق الزوجي: فالعلاقة الزوجية يسودها عدم التفاهم والشجار، إذ صرحت بعض الحالات أن منذ إصابتها بالمرض فإن الزوج لم يعد هو، تغير جذريا باستخدام سلوكيات العنف ضدها التي كانت بدايتها بالعنف اللفظي والسيكولوجي (الشتيم، السب، اللعن، اللوم، التقليل من قيمتها...).

عدم التزام الزوج بمسؤوليته الزوجية: صرحت بعضهن بعدم تلبية الزوج احتياجات البيت من مأكّل وملبس وعدم التكفل بمصاريف الزوجة المريضة.

الحياة الجنسية: اختلفت الوضعيات من حالة إلى أخرى، بعض الحالات التي هددها الزوج بالطلاق والانفصال عنها وإعادة الزواج إن لم تلب الرغبات الجنسية للزوج، والبعض الآخر ضحايا الاعتداء الجنسي وممارسة العلاقة بالقوة والاندفاعية، هذا ما نحاول توضيحه من خلال عرض الحالة التالية.

تقديم حالة "السيدة فريدة"

1- ظروف إجراء المقابلة:

قمنا باستجواب فريدة وهي مستلقية على السرير ومرتبطة بألة الهيموداياليز من الذراع عن طريق الناصور (la fistule) قبل مقابلة "فريدة"، طلبت من الطبيب المعين أن نستعجل في استجوابها، فلقد نفذ صبرها من الانتظار، ومتى يأتي دورها للتحدث معنا، فحسب أقوالها هي بأمس الحاجة لأذان صاغية لمختلف معاناتها، كانت ملامح وجهها التي تحمل تعابير الحزن والتعب مثيرة للانتباه.

2- التقرير الطبي للحالة:

تعاني "فريدة" من عدم استقرار الضغط الدموي (انخفاض - ارتفاع) وهذا ناتج -حسب الطبيب- من عدم تقيدها بالتعليمات الطبية (عدم إتباع الحمية الغذائية) ومن سوء وضعها العضوي والسيكولوجي لصحتها. كما تعاني من اضطرابات جنسية كتدهور العادة الشهرية، اضطرابات هرمونية، تعرضها للإجهاد في بداية العلاج، نقص الرغبة الجنسية، فحسب الطبيب المعين فالإتيولوجية المرضية لهذه الاضطرابات ناتج من تدهور معاشها النفسي والإصابة بالقصور الكلوي المزمن.

3- تحليل محتوى المقابلة

25- علي إسماعيل عبد الرحمن، العنف الأسري، الأسباب والعلاج، المكتبة الأنجلو-مصرية، 2006، ص76.

1-3- البيانات الشخصية المتعلقة بالضحية والمعتدي:

تبلغ السيدة فريدة 45 سنة، مقيمة في البيت، مستواها التعليمي ابتدائي، متزوجة منذ 13 سنة، أم لثلاثة أطفال (ولدين وبنت)، لا تمارس أية مهنة، يتيمة الأبوين، مستواها المعيشي ضعيف، والزوج يبلغ 55 سنة، بدون أي مستوى تعليمي، هو أكبر أفراد العائلة المتكونة من بنتين يشتغل سباك، تبين لنا فريدة أن زوجها كان متزوجاً من قبل من امرأتين إحداهن مطلقة والأخرى ماتت منتحرة.

2-3- الحياة الزوجية:

تضيف لنا فريدة أن زوجها كان من اختيار الأولياء، فهي لم ترغب به يوماً، فاعتبرت بالتالي أن زواجها تجربة فاشلة وندمت من ارتباطها برجل لم يقدر يوماً الحياة الزوجية، وحاليا تعاني من العنف الزوج الذي يعاملها بكل قساوة (شتم، استهزاء، احتقار، ضرب،...) رغم مرضها المزمن (القصور الكلوي المزمن النهائي)، تطرقنا إلى حياتها الجنسية حيث أوضحت لنا أنها عانت (وما زالت تعاني) الكثير من الزوج العنيف منذ ليلة زفافها كان يعاملها بخشونة واندفاع جنسي.

3-3- أشكال العنف الممارس على الضحية:

تتابع فريدة في تصريحها أن الزوج يمارس شتى أنواع الاعتداءات عليها الضرب، الشتم، الاحتقار، الاستهزاء... فممنذ زواجهما كان سوء التفاهم والشجارات يميز علاقتهما، بالخصوص أنه لا يتكفل بأولاده وعديم المسؤولية ومن مدمني الخمر، تبين أنها حالياً لم تعد تحتتمل عنفه كالسابق لسوء حالتها الصحية.

4-3- ما هي الأسباب المؤدية للعنف؟

تصرح فريدة أن اندفاعية الزوج، إلحاحه على الممارسة الجنسية بالخشونة والإفراط الجنسي هي السمات المهيمنة على السلوكات الجنسية لزوجها، ففي بعض الأحيان تقول وتؤكد أنها ترفض ذلك، فيضربها بكل وحشية، إلا أنها ومنذ مرضها وفقدانها للأهل تستسلم لكل نزواته الزوجية.

5-3- استجابة الضحية للعنف:

تقول فريدة أن في البداية كانت تصرح للأم على الاعتداء الجسدي للزوج عليها، لكن لم تجرأ يوماً أن تصرح بالاعتداء الجنسي الممارس عليها لأي كان، حالياً لا تعترض الزوج بل تستسلم لكل اندفاعاته الجنسية، تضيف أنه يرغمها على الممارسة الجنسية في يوم المداومة على آلة الهيموداياليز رغم الفشل الكلوي الذي تعاني منه، فلا تستطيع الرفض خوفاً من الضرب ووحشية الزوج ومن فضيحة الجيران وطردها إلى الشارع، وللمزيد من الإيضاحات عن الحياة الجنسية والعلاقة الزوجية لفريدة نعرض فيما يلي نتائجها في المقياسين الموضوعيين مقياس الرضا الجنسي ومقياس التوافق الزوجي.

4- نتائج مقياس الرضا الجنسي لـ "فريدة"

استعملنا في هذه الدراسة مقياس الرضا الجنسي لـ Walter W. Hudson، وهنا أجابت "فريدة" على هذا المقياس بكل عفوية وبدون أي تردد، وأثناء الإجابة كانت ملامح وجهها وإمائها (la mimique) أحسن دليل على اشمئزازها وتأسفها من حياتها الجنسية

العنف الجنسي الممارس من طرف الزوج: صرحت "فريدة" أنه منذ زواجها كان الزوج يعتبرها مجرد موضوع جنسي يشبع نزواته الجنسية، تضيف أنه يتميز باندفاعية جنسية، لتبين ذلك من خلال قولها: "يجبرني على ممارسة الجنس

بالقوة والعنف"، هذا ما تؤكدته في المقياس بالإجابة بـ "معظم الوقت يتميز زوجي بالخشونة أو العنف أثناء الاتصال الجنسي" (البند رقم 15)، لتواصل في نفس الصدد: "أنا أكره زوجي، لا أحس به ولا أشعر حتى بوجوده أثناء الاتصال الجنسي، أشعر بالبرود الجنسي اتجاهه، أشمئز من العلاقة معه" لتجيب على ذلك في المقياس (البند رقم 5): "أشعر معظم الوقت أن الجنس قذرومثير للاشمئزاز".

مكانة الجنس في الحياة الزوجية للضحية: ترى "فريدة" أن نوعية حياتها الجنسية متدهورة ولا تعني لها أي شيء، لا تولي لها أي اعتبار، فالجنس أدى إلى تدهور علاقتها الزوجية. فبسبب الممارسة الجنسية العنيفة ساءت حياتها الزوجية أكثر فأكثر، حيث تجيب بـ: "لا أشعر أن الجنس وظيفة طبيعية في علاقتنا" (البند رقم 17)، "لا أشعر أن الجنس شيء يمكن تحمله في علاقتنا" (البند رقم 14)، وفي البند رقم 19 تجيب: "لا أشعر أن حياتي الجنسية أضافت الكثير لعلاقتنا"، وأثناء إدلاء "فريدة" بتصريحاتها، أشارت أن سبب تدهور حياتها الزوجية هو الاعتداء الجنسي عليها وممارسة أشكال الاعتداء الأخرى كالضرب والاستهزاء والسب...، وعليه نستنتج أن "فريدة" تحسنت على 76 درجة في مقياس الرضا الجنسي وهذا دليل على أنها غير راضية بحياتها الجنسية.

5- نتائج مقياس التوافق الزوجي لـ "فريدة"

طبقنا في هذه الدراسة اختبار التوافق الزوجي لـ Graham Spanier، كانت إجابة "فريدة" على هذا المقياس كما يلي:

- مظهر الانسجام بين الطرفين: تحسنت "فريدة" على 0 درجة في هذا المظهر، أفادتنا بعدم الانسجام بينهما، فحياتها الزوجية يسودها سوء التفاهم، انعدام التواصل الإيجابي، تعرضها للضرب والشجارات.
- مظهر التعبير عن العواطف: الدرجة المتحصل عليها هي 11 الدالة على عدم الانسجام العاطفي وأن علاقتها مع الزوج تتسم بالبرود العاطفي والكراهية، لتجيب في هذا المقياس بـ "عدم إظهار الحب"، وتشتكي من السب والشتم والتهديد أثناء رفضها للاتصال الجنسي ومن وحشية الزوج.
- مظهر الرضا بين الطرفين: لا وجود للرضا والتفاهم بينهما، لتجيب على ذلك في البند رقم 21: "كل الوقت أشاجر مع زوجي" وتارة ترى أن أفضل الحلول لحالتها الانفصال عن الزوج، حيث تقول: "كل الوقت أفكر في الطلاق" لتواصل أن هذا مجرد تفكير وتصور.
- مظهر الإجماع بين الطرفين: لا وجود للإجماع بينهما حيث تجيب: "كثيرا ما نختلف" وحصولها بالتالي على 52 درجة في هذا المظهر، وقد توصلنا من خلال تحليل نتائج مقياس التوافق الزوجي لـ "فريدة" أنها تحسنت على 79 درجة الدالة على عدم توافقها الزوجي.

خاتمة:

- من بين الحلول المقترحة لوضع حد لظاهرة العنف الجنسي الزوجي، أو حتى التقليل منها، نقترح ما يلي:
- حسن اختيار شريك الحياة هو أساس مواجهة العنف والوقاية منه.
- ضرورة إبلاغ الضحية على اعتداءات الزوج وعدم تقبلها لمثل هذه السلوكات وعدم التكتم والتستر عليها.
- التكفل النفسي بالمعتدي جنسيا لإيجاد حلول لشذوذه الجنسي.
- التكفل النفسي بالضحية للتقليل من آثار الاعتداء على نفسياتها، ومساعدتها على تجاوز هذه المرحلة الحرجة.

قائمة المراجع:

أولا: باللغة العربية

1. تانانوبوم يوسف، العلاقات الجنسية في ضوء العلم، دار الحضارة للنشر، بيروت، الجزائر، 1994.
2. طه عبد العظيم حسن، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.

3. عائدة أحمد الروايحة، البرود والضعف الجنسي وعلاجه بالطب العربي والحديث، المكتبة الثقافية، بيروت، ط2، 2003.
4. علي إسماعيل عبد الرحمن، العنف الأسري، الأسباب والعلاج، المكتبة الأنجلو-مصرية، 2006.
5. غالب مصطفى: العلاقات الزوجية، منشورات مكتبة الهلال، ط1، بيروت، 1991.
6. محمود سعيد الخولي، العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، 2006.
7. منير كرادشة، العنف الأسري، سوسيولوجية ارجل العنيف والمرأة المعنفة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.
8. هشيم طاوس، التكفل النفسي المعرفي السلوكي لدى النساء ضحايا العنف الزوجي اللواتي يعانين من اضطراب الضغط ما بعد الصدمة، دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو، مذكرة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2011.
9. وفيق صفوت مختار، أبنائنا وصحتهم النفسية، دار العلم والثقافة، القاهرة، 2000.

ثانياً: باللغة الأجنبية

1. Mayssoun Faouri, comment aider une amie victime de violences conjugales, www.concertation-femme.com
2. Ounissa Daoudi, responsabilité pour violence conjugale à l'égard de la femme en droit comparé, thèse de doctorat en sciences juridiques, université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, 2009.
3. Roger Henrion : violence à l'encontre des femmes, <http://www.astrosurf.com/luxiorion/psycho-violenceconjuguale.htm> daté du 29/04/2014.
4. Ounissa Daoudi, responsabilité pour violence conjugale à l'égard de la femme en droit comparé, thèse de doctorat en sciences juridiques, université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, 2009.